الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

obeikandl.com

مقدمة.

تعبر الفلسفة في صيرورتها التاريخية عن استجابة العقل البشري للعديد من التحديات التي تواجهه، وتختلف طبيعة هذه الاستجابة وفقاً لظروف تاريخية وحاجات اجتماعية متغيرة بحسب المكان والزمان، وهو ما أعطى للفلسفة طابعها المميز في كل عصر، ولهذا يذهب بعض المفكرين إلى أن مصطلح الفلسفة يتعلق ويهتم بالعلاقات الداخلية للخصائص المكتسبة لثقافة ما من خلال الخبرة الحياتية المعاشة و إدراك الإنسان الداخلي لذاته وللآخرين في العالم الحقيقي، وتعبيره عن العلاقات السائدة في شكل مجرد[١].

وتستمد الفلسفة ملامحها الرئيسة في كل عصر مما يسوده من انساق سياسية واجتماعية واقتصادية تنعكس على إدراك الإنسان لحقيقته ووجوده، وتعبيره عن هذا الإدراك في صورة فلسفية[٢].

وإذا كان هذا القول يصدق على الفلسفة بشكل عام، فإنه ينطبق على فلسفة التربية بصورة خاصة، حيث تربط فلسفة التربية بين المبادئ الفلسفية الخالصة والظروف التاريخية المحيطة بها كشروط حضارية لازمت إبداع فلسفة بعينها، وتصطنع فلسفة التربية في ذلك منهج دائري على نحو ما، " فهي تبدأ بعملية التحليل الحضاري لفلسفة ما باعتبارها نتاجا محددا لفترة تاريخية ما، لتكشف عن الكيفية التي أسهم بها ما هو واقعي (المجتمع) في إنتاج ما هو مجرد (الفلسفة)، وفي خطوة تالية تقوم بنقل المبادئ المجردة إلي الواقع مرة أخرى في صورة استراتيجيات تربوية صالحة للتطبيق، لتجيب عن التساؤلات حول أهداف فلسفة تربوية بعينها وإمكانية تطبيق هذه المبادئ وما يمكن أن تشكله من إضافة إلي الواقع التربوي"[٣]

وتعد فلسفة نيتشه من العلامات المميزة للفلسفة الغربية الحديثة، حيث لم يشهد تاريخ الفكر العديد من الفلسفات التي تعرضت لمحاولات مماثلة من التفسير – وأيضاً سوء التفسير أحياناً– والتأويل والنقد والدفاع عنها، مثلما هو الحال مع فلسفة نيتشه، والتي تبنتها اتجاهات

١–أبو يعرب المرزوقي و طيب تيزيني، **آفاق فلسفة عربية معاصرة**، دمشق، دار الفكـــــر، ٢٠٠١، ص ص ٤٢–٤٣.

٢––زكي نجيب محمود، **من زاوية فلسفية**، ط ٣، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٢، ص ٧٧–٧٨ .

3- Francis Schrag , **Back to Basics:Fundamental Educational Question Reexamined** , San Francisco ,Jassey-Bass Publishers ,1988,pp 4-5.

متعارضة أحياناً، واكتسبت صوراً مختلفة عبر المراحل الفكرية المختلفة خلال المائة عام الماضية، ولعل نيتشه كان واعياً بما ستحدثه فلسفته من تأثير، حينما كتب في سيرته الذاتية:

إنني أعرف مصيري، ذات يوم سوف يرتبط اسمي بذكرى شيء مرعب، بذكرى كارثة لم يسبق لها مثيل، بأشد تصادم عميق للضمائر، إدانة حاسمة لكل ما سبق الاعتقاد فيه، إنني لست رجلاً، إنني ديناميت..إنني أتعرف على مهام عظيمة لم يسبق تصورها، إن الأمل قد أعيدت ولادته معي ومن هنا أنا بالضرورة رجل المصير، فعندما تنشغل الحقيقة بالصراع مع الزيف يجب أن نتوقع صدمات وسلسلة من الكوارث وإعادة تنظيم الجبال والوديان كما لم يحدث من قبل[١].

ومن الناحية التاريخية يمكن القول أن نيتشه لم يكن فيلسوفاً مؤثراً في العالم الغربي طوال السنوات الأولى من القرن العشرين، واعتبره الأكاديميون في تلك الفترة "شاعر متفلسف ملهم"، وكانت كتاباته تثير اهتمام الدراسات الأدبية والنقد الأدبي بصفة خاصة، حيث كان الانتباه يوجه إلى لغته وأسلوبه أكثر مما ينصرف إلى المضمون الفكري لكتاباته، واعتبرت أعماله في مجملها مجرد رد فعل شعري أو بلاغي لتيار الحداثة[٢].

• ومع صعود الحزب النازي إلى الحكم في ألمانيا، وطوال فترة الحرب العالمية الثانية، اعتبر نيتشه المنظر الأول لأفكار النازية، وتمت إعادة تفسير أعماله باعتبارها الأساس الفكري لسيادة الجنس الآري باعتباره تجسيد لفكرة الإنسان الأعلى، وتفوق الحضارة الألمانية باعتبارها تجلٍ لإرادة القوة في الحرب والسلم[٣].

إلا أنه مع انتهاء الحرب العالمية، وانحسار موجة العداء لنيتشه في العالم الغربي، تمت إعادة تفسير أعماله مرة أخرى، وكان الدافع الرئيسي وراء ذلك ظهور تيار جديد – في

١- فريدريك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، ترجمة:مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة آفاق الترجمة، رقم ٣٣، ١٩٩٧، ص ص ١٢٦-١٢٧.

2- Ernest Behler,"Nietzsche in the Twentith Century",IN:Bernd Magnus & Kathlen M.Higgins (Ed),**The Cambridge Companion to Nietzsche** ,pp 281-321, Cambridge University Press,1996, pp 281-282.

3- See:

a-Marten Schwab,"Nietzsche Nazi's Affinities",Paper to:**Nazi and the Humanities Conference**, pp 1-17,New Jersey,Princton University,April 2003, pp 2-3.

b-Charles M.Yablon,"Nietzsche and Nazis:the Impact of National Socialism on the Philosophy of Nietzsche",**Cardozo Law Review**,Vol 24,No 2, pp 739-755,1999, p 739.

الولايات المتحدة تحديدا – ينادي بقراءة نيتشه قراءة موضوعية، فترجم كتاب ياسبرز Karl Jaspers (١٨٨٣-١٩٦٩) عن نيتشه إلى الإنجليزية، وتمت إعادة ترجمة أعمال نيتشه على يد مجموعة من المفكرين أبرزهم كاوفمان W.Kaufmann(١٩٠٧-١٩٨٤)، وظهر تأثير فلسفة نيتشه على عدد من المفكرين والباحثين[١].

أما في أوروبا – وتحديداً فرنسا – نظر إلى نيتشه باعتباره أحد رواد الفكر الوجودي الذي ساد الساحة الفكرية في ذلك الوقت، وظهرت العديد من التيارات الفكرية التي عملت على متابعة أو تطوير الفكر النيتشوي، وظهرت العديد من المدارس التي اتخذت من فكر نيتشه أساساً لها، مثل التأويلية والتفكيكية والنقدية[٢].

وساد اتجاه واضح في الربع الأخير من القرن العشرين بين الباحثين المهتمين بفلسفة نيتشه، لتناول مجالات أو أفكار محددة من فلسفته، بعكس ما ساد الفترة السابقة عليها من توجه لتفسير فلسفة نيتشه تفسيراً كلياً، ومن هذه الدراسات ما أتجه لدراسة فلسفة الأخلاق عند نيتشه مثل دراسة يسري إبراهيم[٣] "فلسفة الأخلاق عند نيتشه" ودراسة جون برنشتين[٤] John A. Bernstein "فلسفة نيتشه الأخلاقية" Nietzsche's Moral Philosophy، ومنها ما أتجه لدراسة المعرفة مثل دراسة م.كلارك[٥] Maudemarie Clark "آراء نيتشه عن الحقيقة والفلسفة" Nietzsche on Truth and Philosophy ، ودراسة آلان شريفت[٦] Alan Schrift "نيتشه وسؤال التأويل" Nietzsche And The Question Of Interpretation، أو مجال السياسة مثل دراسة سترونج[٧] Tracy C.Strong "نيتشه

---

1 - Ernest Behler,**Op.Cit**, p 283.

2 - Alan D.Schrift,"Nietzsche French Legasy", IN:Bernd Magnus & Kathlen M.Higgins (Ed) pp323-356,**Op.Cit**,pp 324-325.

٣-يسري إبراهيم إبراهيم، **فلسفة الأخلاق عند نيتشه**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٤.

4- John Andrew Bernstein, **Nietzsche's Moral Philosophy**, Tornto:Fairleigh University Pres,1987.

5- Maudemarie Clark, **Nietzsche on Truth and Philosophy** ,New York ,Cambridge University Press,1990.

6- Alan Schrift,**Nietzsche And The Question Of Interpretation**, New York , Routledge Books,1990.

7 - Tracy C.Strong, **Nietzsche and the Ploitics of Transfiguration**, Berkely, University of California Press,1975.

وسياسات التجلي" Nietzsche and the Ploitics of Transfiguration ، وكذلك ظهرت بحوث عديدة في مجال الدراسات الإنسانية والقانونية والتاريخية والفنية وغيرها.

أما في مجال الدراسات التربوية فقد جاءت الاستجابة ضعيفة نسبياً، ولم تظهر طوال السبْعينيات سوى دراسة روزنو[١] E.Rosenow – في حدود علم الباحث– والتي حاول فيها دراسة مدى ملائمة آراء نيتشه لطرق التعليم غير التقليدية، ويرجع الفضل في إثارة الانتباه إلى أهمية نيتشه على صعيد التربية إلى ما قدمه آلان بلوم[٢] Alan Bloom من نقد لتأثير أفكار نيتشه على مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة، والتي رأى فيها أن تأثير نيتشه قد أنتقل عبر الأساتذة الألمان المهاجرين إلى الطلاب بصورة تتعارض مع أسس الثقافة الأمريكية، وهو ما أثار بعض الدراسات التربوية التي تصدت للرد عليه أو موافقته، ممهدة الطريق أمام بعض الدراسات الجامعية التي تناولت بعض الجوانب التربوية في فلسفة نيتشه.

وشهدت الدراسات الأكاديمية في العقد الأخير من الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة، اهتمام متزايد بفكر نيتشه، حيث تم الربط بينه وبين تيارات ما بعد الحداثة في مجالات عديدة، وساد الاعتقاد بأن نيتشه هو من أكتشف علامات العدمية في الفكر الأوروبي الحداثي، ووضع قيمه وأفكاره ونماذجه محل التساؤل، مؤسساً لاتجاه التجاوز الذاتي للهوية الحضارية الغربية بأكملها، وإرساء مبادئ الاختلاف والغموض والصيرورة، بدلا من الوحدة والوضوح والتحديد والثبات، وبذلك تكون فلسفته قد رسمت الإطار العام لمجموعة من الدراسات المنفصلة أو المتداخلة في مجالات الفلسفة والتاريخ الثقافي و الدراسات الدينية والنظرية الأدبية والفكر السياسي والاجتماعي والأخلاقي ما بعد الحداثي[٣].

---

1 - Eliyahu Rosenow " What is free Education", **Educational Theory**, V 23 , N 3, , p 345-370, University Of Illinois ,Board of Trustees , 1973.

2 - Alan Bloom,**The Closing of the Amrican Mind**,New York,Simon and Schuster,1983,p 64-65.

٣-انظر:

أ- عصام عبد الله، "الجذور النيتشوية لما بعد الحداثة"، **مجلة الفلسفة والعصر**، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، العدد الأول، ص ص ٢٢٩-٢٤٧، أكتوبر ١٩٩٩، ص ص ٢٢٩-٢٣٠.

b-Charles B.Scott,"Nietzsche",IN:Simon Critchley & William R.Schroeder,**A Companion to Continental Philosophy**,pp 153-148,Oxford,Blackwell Publishers,2nd Edition,2002,pp 153-154.

c-Willie Thompson, **Postmodernism and history** , New York : Palgrave Macmillan, 2004,p 16.

ولا تقتصر أهمية نيتشه في الآونة الأخيرة على تأثيره على فكر ما بعد الحداثة فحسب، حيث تشير بعض الاتجاهات إلى تأثيره على مدى واسع من الاتجاهات الواقعية السياسية الحالية بدءاً من اليمين المحافظ والمحافظين الجدد والتيار الليبرالي والفكر النسوي وحتى مناهضي الديمقراطية الغربية، والتي تشكل أساس الجدل السياسي والاجتماعي الغربي المعاصر[١]، كما يشير اتجاه آخر إلى التأكيد على البعد اللازمني في فلسفة نيتشه، ليس من حيث صلاحيتها لكل الأزمان، ولكن من حيث معالجتها لظواهر تبدو في العصر الحالي وتحمل نفس سمات العدمية التي انتقدها نيتشه[٢].

ويمكن القول وفقاً لهذه القراءة أن فلسفة نيتشه تكتسب أهمية متزايدة للعصر الحاضر، بحيث يعد فهمها أحد المفاتيح الهامة في إدراك التغير الحادث في الفكر والحضارة الأوروبيين.

ويشير بعض الباحثين[٣] إلى أن البحث التربوي لم يقدم حتى الآن الجهد الملائم لاكتشاف القيمة التربوية لكتابات نيتشه، وأن الدراسات التي تناولت بعض الجوانب التربوية في فلسفته لا تتناسب مع قيمة ما قدمه من مفهوم أصيل للتربية، والحضور الدائم للتربية في أعماله، وكذلك مع ما تمثله فلسفته من أهمية للفكر المعاصر، المتمثل في أسلوبه المميز في البحث، وما انتهى إليه من نتائج.

وعلى الصعيد العربي، لاحظ الباحث ندرة الدراسات التي تتناول آراء نيتشه التربوية، والتي اقتصرت في معظمها على بعض الإشارات في ثنايا الدراسات التي تناولت فلسفته بصفة عامة، دون أن يكون هنالك –في حدود علم الباحث–دراسة متخصصة تهتم بإبراز تلك الملامح التربوية لفلسفته.

1- Ted Sadler,"The Postmodernist Politiciazation of Nietzsche",IN:Paul Patton(Ed) , **Nietzsche,Fiminism and Political theory**, pp 225-243 , London,Routledge,3rd Edition,2002,p 226.

2-Alan D.Schrift,"Introduction",In Author(Ed),**Why Nietzsche Still?:Reflection on Drama,Culture and Politics**, pp 1-12 ,Berkely, University of California Press, 2000, p 4.

3-See:

a-Angel Jusino and Carlos Torre,"Friedrich Nietzsche",In:Joy A.Palmer(Ed),**Fifty Major Thinkers on Education**,London,Routledge,2001,p 158.

b- Eliyahu Rosenow, "Nietzsche's Educational Legacy" ,**Journal of Philosophy of Education,** Vol 34,N 4, pp673-685, Oxford, Blackwall Publishers,2000,p673-674.

مشكلة الدراسة.

ومما سبق يتضح أن فلسفة نيتشه في حاجة للمزيد من البحث للكشف عن جوانبها التربوية، مما يتطلب التعرف على المضامين التربوية في فلسفته، وبذلك تتحدد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

ما المضامين التربوية في فلسفة نيتشه؟

وتهدف الدراسة للإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

١. ما الملامح الفكرية المميزة لحياة نيتشه وعصره؟

٢. ما الطبيعة الإنسانية في فلسفة نيتشه ومضامينها التربوية؟

٣. ما طبيعة المعرفة في فلسفة نيتشه ومضامينها التربوية؟

٤. ما طبيعة الفكر الأخلاقي في فلسفة نيتشه ومضامينه التربوية؟

٥. ما طبيعة الفكر الاجتماعي في فلسفة نيتشه ومضامينه التربوية

٦. ما مفهوم وأسس التربية عند نيتشه؟

أهمية الدراسة.

- تعد الدراسة–على حد علم الباحث– من أولى الدراسات العربية التي هدفت لإبراز الفكر التربوي في فلسفة نيتشه.
- تحليل التراث الفكري والفلسفي الذي يشكل أساساً للفكر الغربي الحديث بصفة عامة، والفكر التربوي بصفة خاصة.
- تحقيق سمة التواصل بين العصور والحضارات من خلال إعادة قراءة التراث الفكري لنيتشه.
- تقديم بعض التوصيات التي يمكن أن يستفيد منها التربويين.

obeikandi.com

منهج الدراسة.

يعتمد الباحث في دراسته للمضامين التربوية في فلسفة نيتشه على المنهج الوصفي وأسلوب التحليل الفلسفي للربط بين القضايا الفلسفية والاتجاهات التربوية الحديثة[١]، باعتباره المنهج الأكثر ملاءمة لطبيعة الدراسة، محاولا تقديم تفسيراً لهذه المضامين التربوية من كتابات نيتشه ذاتها، تجنبا للاختلافات بين التفسيرات المختلفة لفلسفته .

الدراسات السابقة.

(١) دراسة إلياهو روزنو ١٩٧٣ "ماهية التربية الحرة"[٢].

وهدفت الدراسة إلى تحديد الجانب الإنساني في صيغ التعليم غير التقليدية، وانتهت إلى أن المدخل المناسب لهذه الصيغ هو تبني مفهوم للذات الإنسانية باعتبارها كلاً متكامل قابل للتغير والتعديل المستمر وفقاً للمسار الذي يحدده الفرد لنفسه، وهو ما يتناسب مع رؤية نيتشه حول الطبيعة الإنسانية.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في التعرف على مفهوم صيرورة الذات الإنسانية، باعتباره أحد محددات رؤية نيتشه للطبيعة الإنسانية، وتختلف الدراسة الحالية في تبنيها مفهوم أوسع للذات الإنسانية عند نيتشه، يشمل العديد من الجوانب التي أغفلتها دراسة روزنو، مثل إرادة القوة والإنسان الأعلى عند نيتشه، وكذلك رؤيته للنمو الإنساني، كما تختلف عنها في تناولها للمضامين التربوية في الجوانب الأخرى من فلسفة نيتشه، مثل فلسفته الأخلاقية والمعرفية.

(٢) دراسة يسري إبراهيم١٩٨٤ "فلسفة الأخلاق عند نيتشه"[٣].

وهدفت الدراسة لتحديد معالم فلسفة الأخلاق عند نيتشه، وتأثير آرائه الميتافيزيقية والمعرفية على رؤيته للأخلاق، وشملت الدراسة عرض لحياة نيتشه، ونقده لدور العقل في الفلسفات التقليدية، ونقد ثنائية العالم، ومبادئ فلسفة نيتشه الأخلاقية وهي أخلاق السادة والعبيد، وإرادة القوة، والعود الأبدي، والإنسان الأعلى، وانتهت الدراسة إلى أن فلسفة نيتشه

1-J.P. Keeves(Ed), **Educational research, methodology and measurement : an international handbook,** 2nd ed, New York, Pergamon, 1997,pp 50-57.

2 - Eliyahu Rosenow , **What is free Education**,Op.Cit.

٣-يسري إبراهيم إبراهيم، **فلسفة الأخلاق عند نيتشه**، مرجع سابق.

في الأساس هي فلسفة أخلاقية، وأن لها تأثير على العديد من مجالات الدراسة الإنسانية والأدبية في القرن العشرين.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في التعرف على أساس التقويم الأخلاقي عند نيتشه، ورؤيته للإنسان والمعرفة، وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسة السابقة في تناولها للمضامين التربوية في فلسفة نيتشه، في جوانبها الإنسانية والأخلاقية والمعرفية والاجتماعية. دراسة يسري إبراهيم١٩٨٤ "فلسفة الأخلاق عند نيتشه"[١].

(٣)دراسة ليسلي ساسون Leslie A.Sassone ١٩٩٦ "الفلسفة عبر المنهج:تعليم نيتشه الديموقراطي"[٢].

وهدفت الدراسة لاكتشاف الجوانب التربوية في فلسفة نيتشه التي تتماشى مع طبيعة نظم التعليم في البلدان الديموقراطية، وعرضت الدراسة لتفسير جديد للتربية عند نيتشه يقوم على أسس الديمقراطية والتعددية، في مقابل التفسيرات النخبوية لها، وانتهت الدراسة إلى مجموعة من المفاهيم التربوية في فلسفته يمكن تبنيها من خلال النظم المعاصرة، مثل التأكيد على الفردية، والتمركز حول المتعلم، والنسباوية المعرفية.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في التعرف على العديد من القراءات التربوية لفلسفة نيتشه، وكذلك بعض الجوانب التي تصلح لنظم التعليم المعاصرة، إلا أنه يختلف معها في ما أكدت عليه من قدرة نظم التعليم الديمقراطية على تبني فلسفة نيتشه في التنظير والممارسة، وهو ما يختلف مع فلسفة نيتشه وطبيعتها النخبوية.

(٤)دراسة إلياهو روزنو ٢٠٠٠ "تراث نيتشه التربوي"[٣].

وهدفت الدراسة لفحص التفسيرات التربوية لفلسفة نيتشه باللغتين الإنجليزية والألمانية في العقدين السابقين، وقررت الدراسة إلى أن الدراسات باللغة الألمانية قد استبعدت وجود نظرية تربوية عند نيتشه، مع الإشارة إلى وجود بعض الأفكار التي تصلح كمؤشرات للمعلم داخل الفصل، بعكس الدراسات باللغة الإنجليزية – خصوصاً في الولايات المتحدة- والتي

١-يسري إبراهيم إبراهيم، **فلسفة الأخلاق عند نيتشه**، مرجع سابق.

2- Leslie A.Sassone, " Philosophy Across The Curriculum : A democratic Nietzschean Pedagogy , **Educational Theory** , Vol 46 , N 4 , p 511 – 524,University Of Illinois , Board of Trustees , 1996.

3- Eliyahu Rosenow, **Nietzsche's Educational Legacy** ,Op.Cit.

حاولت تحديد معالم النظرية التربوية في فلسفته، وانتهت الدراسة إلى أن هنالك حاجة للمزيد من البحوث التربوية للكشف عن نظرية متكاملة للتربية في فلسفة نيتشه.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في التعرف على العديد من مبادئ التفسير التربوي لفلسفة نيتشه، كما ساعدته في تحديد مشكلة الدراسة، وتختلف الدراسة الحالية عن هذه الدراسة في محاولتها لوضع صياغة تربوية جديدة لفلسفة نيتشه، في حين اقتصرت الدراسة السابقة على عرض التفسيرات التربوية السابقة عليها.

(٥)دراسة تشارلز بنجهام Charles Bingham ٢٠٠١ "نحو تعليم من أجل إعادة صياغة الذات"[١].

وهدفت الدراسة لفحص آراء نيتشه حول الفردية في سياق المؤسسات التربوية المعاصرة، من خلال بعض التفسيرات الحديثة لفلسفة نيتشه، وانتهت الدراسة إلى أن التربية المعاصرة في حاجة لتبني مفهوم الفردية النيتشوي، للحد من إعادة إنتاج العلاقات.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في تحديد بعض جوانب مفهوم الفردية عند نيتشه، وكذلك في التعرف على نقد نيتشه للمفاهيم الجمعية في التربية، وتختلف الدراسة الحالية في تناولها لمفهوم الفردية عند نيتشه بصورة أكثر شمولاً، كما تختلف عنها في تناولها للمضامين التربوية في الجوانب الأخرى من فلسفة نيتشه، مثل فلسفته الأخلاقية والمعرفية.

وقد اتفقت الدراسات السابقة في تأكيدها على الأهمية التربوية لفلسفة نيتشه، وقدرتها علي تقديم رؤى وتصورات تربوية جديدة ومغايرة للتصورات الحالية، وكذلك قدرتها على تقديم إطاراً عاماً لعملية التعليم والتعلم ملائماً للتغيرات ما بعد الحداثية في مجال التربية على مستوى النظرية والتطبيق، وهو ما تتفق معه الدراسة الحالية وتسعى لتأكيده.

فصول الدراسة.

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة، ويتناول المقدمة والمشكلة والأهمية والمنهج والدراسات السابقة، كما يشمل سمات عصر نيتشه، وأهم الملامح الفكرية لحياته وكتبه، وذلك للإجابة عن التساؤل الأول من أسئلة الدراسة.

1- Charles Bingham " What Nietzsche Cannot Stand About Education : Toward a Pedagogy of Self – Reformulation", **Educational Theory** , Vol 51 , N 3, , pp 345-372, University Of Illinois ,Board of Trustees , 2001.

الفصل الثاني: الطبيعة الإنسانية في فلسفة نيتشه ومضامينها التربوية، ويتناول دراسة الأساس الميتافيزيقي ومحددات رؤية نيتشه للطبيعة الإنسانية، وانعكاس ذلك على رؤيته التربوية، وذلك للإجابة عن التساؤل الثاني من أسئلة الدراسة.

الفصل الثالث: المعرفة في فلسفة نيتشه ومضامينها التربوية، ويتناول نقد نيتشه لدور العقل في الفلسفة الغربية، وأسس نظريته المعرفية، وتأثير ذلك على رؤيته لدور التربية، وذلك للإجابة عن التساؤل الثالث من أسئلة الدراسة.

الفصل الرابع:الفكر الأخلاقي في فلسفة نيتشه ومضامينه التربوية، ويتناول استخدام نيتشه للمنهج الجينالوجي في دراسة الأخلاق، وعملية تقويم القيم في الأخلاق النيتشوية، وأهم المضامين التربوية في رؤيته الأخلاقية، وذلك للإجابة عن التساؤل الرابع من أسئلة الدراسة.

الفصل الخامس: الفكر الاجتماعي في فلسفة نيتشه ومضامينه التربوية، ويتناول نقد نيتشه لنظرية الدولة ومبدأ المساواة، والنموذج الاجتماعي السياسي الذي يقدمه، وطبيعة العلاقة بين المجتمع والتربية في فلسفته، وذلك للإجابة عن التساؤل الخامس من أسئلة الدراسة.

الخاتمة: وتتناول مفهوم التربية وأهم أبعاده، وأهم أسس التربية والعناصر الأساسية لها، وذلك للإجابة عن التساؤل الأخير من أسئلة الدراسة.

وبعد الانتهاء من عرض فصول الدراسة، فإن الدراسة الحالية تهتم بإلقاء الضوء علي مجتمع نيتشه وعصره والحركات الفكرية والاجتماعية السائدة فيه والتي أثرت علي حياته وعلي مراحله الفكرية المختلفة وآرائه التربوية، وهو ما يتم عرضه.

عصر نيتشه (القرن التاسع عشر).

تعد الحياة الفكرية في القرن التاسع عشر أكثر تشعباً من أي عصر سابق، ويتمثل العصر في تيارين رئيسين، أحدهما رد فعل للتنوير في القرن السابق، أما الآخر فهو امتداد لفكر التنوير وتطوير له[١]، ويقدم مفكرو التنوير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر السياق التاريخي لفلسفة نيتشه، والذي لا يمكن فهم أفكاره بدونه[٢].

ولا يوجد تعريف واحد محدد لمفهوم التنوير، حيث أختلف تفسير التنوير كظاهرة حضارية وتاريخية من مكان لآخر داخل أوروبا ذاتها، إلا أنه يمكن القول أن الإيمان بالعقل الإنساني هو نقطة الالتقاء بين مفكري التنوير في القرن الثامن عشر.

" فالسمة الأساسية للتنوير هي الرغبة في إرجاع الشئون الإنسانية إلى العقل أكثر منها إلى الإيمان أو المعتقد، والاعتقاد في قدرة العقل الإنساني على تغيير المجتمع وتحرير الفرد من أعباء العادات أو السلطات التقليدية، في إطار رؤية جديدة للعالم تعتمد على العلم وحده"[٣]، فالتنوير هو وحدة أو مشروع واحد يهدف للتحرر من سلطة الدين والعادات، والبحث عن الحرية والتقدم من خلال الاستخدام النقدي للعقل لتغيير علاقات الإنسان بذاته والمجتمع والكون [٤].

وشكل هذا الإيمان بالإنسان ككائن عقلي مستقل عن أية قوى ميتافيزيقية المجتمع الإنساني في سائر نواحيه، وظهرت نظريات في السياسة والاقتصاد والقانون تؤكد على مكاسب الحرية النقدية التي فرضها الاستقلال العقلي، وساعد على ذلك التقدم والإنجازات الحديثة في مجال العلوم، فازدادت الثقة بالعقل الإنساني، واتخاذ العلم كوسيلة مضمونة لسبر أغوار الطبيعة وكشف أسرارها والسيطرة عليها[٥] .

١- برتراند رسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، ت:محمد فتحي الشنيطي، القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، الكتاب الثالث، ص ص ٣٣٦-٣٣٧.

2- Lewis Call, **Nietzsche as Critic and Captive of Enlightenment**, Irvine,University of California Press,1995, p 4.

3- Dorind Outram, **The Enlightenment**, Cambridge: Cambridge University Press,1996, pp 3-4

4- George H.Mead, **Movements of Thought in The Nineteenth Century**, Chicago, University of Chicago Press, WD, p 17.

5- N. Hampson, **The Enlightenment and its Assumption:Atitudes and Valus**, New York: Penguin Books,1974, p 37.

وانعكست هذه الروح أولا في مجال السياسة، حيث تحددت العلاقة بين التنوير والدولة كرد فعل للصراعات الدينية في القرنين السابقين، ومكنت حركة الإصلاح الديني الأفراد والجماعات من نقد النظم الاجتماعية والقوانين القائمة على الإيمان، و أنتجت نظاما متحللا من الدين عبر أوروبا، فانتهت السيطرة المزدوجة للكنيسة والملك باعتباره حقا إلهيا، وأصبح المبدأ هو سيادة الشعب أو حكم الشعب لنفسه، " وتمت صياغة الدساتير وفقا للمبادئ العقلية المستقلة واعتبر الفرد هو وحدة مستقلة لها حقوقها وواجباتها باعتباره مواطنا بغض النظر عن أي انتماءات عرقية أو طبقية أو دينية"[١] .

وأدت هذه التغيرات السياسية إلى انقلاب في البنية الاجتماعية للمجتمعات الأوروبية، حيث أدى انهيار النظام الملكي – الكنسي لانهيار مماثل في الطبقات الإقطاعية صاحبه صعود للطبقات البرجوازية من أصحاب رأس المال ولمثقفي الطبقات الوسطى، والتي أدى تنقلها من مكان إلى آخر داخل أوروبا وحصولها على وظائف هامة بالدولة ونظم التعليم إلى تشكيل تيار طاغٍ من الفكر سيطر على البرامج الإصلاحية والاقتصادية والاجتماعية في مناطق واسعة من أوروبا[٢]، " وتمت عقلنه الحياة الاجتماعية والاقتصادية كمجال للإدارة في سبيل ملاقاة حاجات المجتمع والدول الناشئة"[٣].

وشكلت الفردية الليبرالية أساس للاقتصاد الأوروبي، فساد مبدأ التحرر الاقتصادي للفرد من الخضوع للدولة كأساس للتقدم، أصبحت حرية العمل والاستثمار وتنقل رأس المال هي أهم معالم الحياة الاقتصادية في تلك الفترة .

وأدت كل هذه التغيرات إلى الإيمان بالتقدم الاجتماعي والتفاؤلية المفرطة بشأن المستقبل البشري المدعوم بالآلة "والذي كان نوعا من الإيمان الطوباوي بالمستقبل، غير المتصل مع الحاضر الذي هو ماضي النسبة له، وأصبحت الأشياء صحيحة بالصورة التي ستصبح عليها في المستقبل"[٤].

1- Lucien Goldmann, **The Philosophy of Enlightenment**,Transl: Henry Maas, London: Routledge & Kegan Paul,1993,p 65.
2- See:
a- Dorind Outram,**Op.Cit** ,p103.
b- Lucien Goldmann,**Op.Cit** ,p 54.
3- Dorind Outram,**Op.Cit** ,p104.
4- Geoffrey Clive, **The Romantic Enlightenment**, New York ,Meridian Books INC,1960, p 32.

وأدت هذه التفاؤلية المفرطة إلى غياب التقدير الحقيقي لهذا التقدم، فلم يتم التعامل معه كتقدم في مجالات محددة من حياة الإنسان، "مما أدى لغياب التبصر الحقيقي بحياة الإنسان الداخلية، واختزالها في جانب العلم وحسب، والتي تم الافتراض على أساسها أن السعادة الإنسانية متوقفة على درجة العلم في المجتمع "[١].

ولم تكن هذه التفاؤلية التي سادت في معظم الفكر الأوروبي حتى نهاية القرن الثامن عشر لتستمر كثيرا في القرن التاسع عشر، حيث فقدت الكثير من مقوماتها بسبب عدة عوامل، وأول هذه العوامل وأهمها هو الثورة الفرنسية، فلقد نظر المفكرون الأوروبيون للثورة الفرنسية في بادئ الأمر كتجسيد لقيم التنوير السياسية والاجتماعية، وأصبحت الثورة الفرنسية نموذجا للتحرر من المعتقدات والنظم التقليدية، " إلا أن النتائج جاءت مخالفة للمأمول منها، فحكم الشعب تحول إلى حكم الإرهاب والعنف، قبل أن تنتهي إلى الديكتاتورية المطلقة التي أسسها نابليون"[٢]، وتحولت أوروبا كلها إلى مسرح للحرب بين جيوش نابليون وجيوش الحلف المقدس، والتي انتهت بعودة الملكية مرة أخرى إلى فرنسا، بعد أن قضت على ملايين الرجال، وتركت ملايين الأفدنة من الأراضي مهملة، وخلفت آثار الخراب في معظم أوروبا، " أما الآلة التي اعتبرت عماد التقدم الحضاري وتحسين مستقبل البشرية فقد حولت مئات الآلاف من العمال إلى عبيد في المدن الصناعية في أوروبا، في أسوأ ظروف بيئية واجتماعية"[٣].

وإزاء هذه التطورات، لم تعد لروح التفاؤل التنويري وجود حقيقي، "وتحول التشاؤم إلى فكرة ثابتة لدى الشعراء والفلاسفة والمفكرين في مطلع القرن التاسع عشر، وبدا أن الازدهار الرائع في حياة الإنسانية قد توقف واتجه في طريق الانحدار"[٤] وظهرت حركة جديدة في الفكر تستلهم الطبيعة وتنادي بالرجوع إلى الماضي، وكرد فعل طبيعي تمخض عصر التنوير عن الحركة الرومانتيكية .

1- Geoffrey Clive, **Op.Cit** , p34.
2- Rudolph Vierhaus,"Progress:The Heritage of The Enlightenment"In:James Schmidt (Ed in Brief), **What is Enlightenment**, pp 330-342, Berkeley, University of California State Press, 1996, p 330.
3- **Ibid**, p 332.
٤- السيد شعبان حسين، **فكرة الإرادة عند شوبنهاور**، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٩٣،ص ١٥.

وبدأت الحركة الرومانتيكية على يد مجموعة من الشعراء والمفكرين والنقاد الشبان الذين كونوا ما يعرف بالمدرسة الجديدة أو المدرسة الرومانتيكية، وأهمهم : الأخوان شليجل القصاص August Wilhelm (1767-1845) and Friedrich Shlgel (1772-1829) تودوينج تيك Tudwing Tiek (1773-1853) والفيلسوف ف.شيلنج (F.J. Shelling 1775-1854) وعالم للاهوت إرنست شلايرماخر Ernest Schillermacher(1768-1834) والشاعر والفيلسوف السياسي نوفاليس Novalis (1772-1801)، وقد عبر هؤلاء عن النزعة الرومانتيكية الخالصة في الربع الأول من القرن التاسع عشر[1].

ويمكن تحديد ثلاث خصائص رئيسية تختلف فيها الفلسفات الرومانتيكية عن الفكر التنويري، وهي(اللاعقلانية، الوحدة مع الطبيعة والمجتمع، النزعة الدينية)[2] :

- اللاعقلانية : ولا تعني لاعقلانية الرومانتيكية التخلي عن استخدام العقل ولكن التخلي عن سلطة العقل كمرجع أوحد للفكر الإنساني واستبداله بالفن، حيث آمن مفكرو الرومانتيكية بالفن كقوة إيجابية قادرة على إعادة إنتاج العالم من خلال الخيال، لإعادة بناء ما دمره العقل في الإنسان والمجتمع .
- الوحدة مع الطبيعة والمجتمع : فقد انتقد الرومانتيكيون النزعة الفردية Individualism المميزة للتنوير، ودافعوا عن نموذج جديد يخضع فيه الفرد للجماعة، وفي حين نظر مفكرو التنوير للمجتمع كأداة لتحقيق السعادة وحماية حقوق الفرد، فقد نظر الرومانتيكيون للحياة والقيم الاجتماعية كهدف في حد ذاته، كما عارض الرومانتيكيون النزعة لاستغلال الطبيعة، ونادوا بإحياء الجمال والسحر والطبيعة الأسطورية القديمة للطبيعة .
- النزعة الدينية : كانت الرومانتيكية بصفة أساسية أيديولوجيا محافظة Conservative Idiology عارضت القيم الليبرالية للتنوير مثل انفصال الدولة عن الكنيسة وحرية الفرد والتسامح الديني، ونادت بالدين كمصدر للمعرفة اللازمة لتعميق

1- Frederick C.Beiser,"Early Romanticism and Enlightenment",in:James Schmidt, pp 317-329, **Op.Cit**, p 319-320

2- See:

a-**Ibid**, p 321-322.

b- Geoffrey Clive, **Op.Cit**, p 188-190.

c-Henry D.Aiken, **The Age of Idiology**, Cambridge:Houghton Mifflin Co,1957, p 20-22.

obeikandl.com

وتوازن الحياة الروحية للإنسان وطرح رؤى إيمانية جديدة للإنسان والكون، لذلك فقد تعاطف مفكرو الرومانتيكية بصفة عامة مع العودة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية .

و انتقلت الأفكار الرومانتيكية من ألمانيا إلى باقي الدول في أوروبا، لتستبدل الفردية بالخضوع لسلطات الدولة والكنيسة، وتستبدل النظرة للمستقبل بالنظر إلى الماضي، والقضاء على الحدود بين عالم العقل المجرد وعالم التجربة، وبين الإنسان والطبيعة.

وبلغت الفلسفة الرومانتيكية أوجها عند الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠) Arthur Schopenhaur ، وكانت فلسفته تعبر عن روح عصره الذي اصطبغ بالتشاؤم، وكذلك القدرة على تجاوز الثنائية التي أقامها مفكرو التنوير بين العقل والمشاعر برد كل منها إلى ذات الأصل، وتتركز كتاباته حول فكرته الأساسية وهي أن العالم إرادة، و أن إرادة الحياة هي الغريزة الأولية والسبب الأبدي خلف كل الدوافع الإنسانية، وهي المسئولة عما يصدر عن الإنسان من أفعال، وبالتالي لم يعد العقل هو مصدر الإرادة ولكن تأثير لها، أو بالأحرى وسيلة من ابتداعها .

. والسمة الأساسية للإرادة المطلقة هي أنها تشكل دافع مستمر للإنسان ومصدر للرغبات اللامتناهية، وهي بذلك تبقى الإنسان في حالة من عدم الرضى والتعطش، ويترتب على ذلك أن السعادة اللانهائية مستحيلة، وأنه ما من وسيلة للتغلب على الإرادة التي هي مصدر الشقاء الإنساني إلا بالقضاء على الإرادة أي الفناء[١]، ولا يجد الإنسان مهربا له من سيطرة الإرادة إلا بالارتكان إلى التصوف أو الجنون أو الانتحار[٢].

كذلك يقدم الفن وسيلة للإنسان للتحرر من الألم، إلا أنها وسيلة مقصورة على العباقرة فحسب، وتسمو الموسيقي على سائر الفنون في تصويرها لحركة الإرادة الداخلية وكفاح الإنسان، لأنها منزهة عن كافة الأشكال المادية[٣] .

وقد أثرت فلسفة شوبنهاور بصورة كبيرة على المفكرين والفنانين الألمان بصورة خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والذي شهد بصورة عامة انحسار تيار الفكر الرومانتيكي ، لوجود العديد من الاتجاهات الفكرية الجديدة التي لم يستطع أن يحتويها، مثل

١- السيد شعبان حسين، **مرجع سابق**، ص ص ٤٣-٤٤ .

٢- ول ديورانت، **قصة الفلسفة**، ت:عبد الله المشعشع، ط ٦، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٨، ص ٤٠٧.

٣- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، ط ٥، القاهرة:دار المعارف، ١٩٨٦، ص ٣٩٢.

مذهب المنفعة الإنجليزي والوضعيين الفرنسيين، والهيجليين الجدد والليبراليين والاشتراكيين في كل أوروبا، وقد حملت هذه الاتجاهات خصائص التنوير إلى القرن التاسع عشر، بصور ودرجات مختلفة.

ويعد التحدث عن (تنوير القرن التاسع عشر) قضية خلافية، حيث درج المفكرون عادة على النظر إلى التنوير باعتباره (ظاهرة فكرية تاريخية خاصة بالقرن الثامن عشر)، إلا أن هذا الرأي غير مؤيد هنا لسببين، أولهما هو التأثير المتغلغل لفكر التنوير على مفكري القرن التاسع عشر خصوصا في مجالات السياسة والعلوم، مما يجعل من الصعب أن نحدد حدود ضيقة لهذا التأثير بالدرجة التي تجعل من الأرجح أنها هذه التيارات بالأساس متابعة لذات حركة التنوير العقلية، والآخر مرتبط بمجال الدراسة، وهو أن نيتشه لم يفرق بين تنويريي القرن الثامن عشر والتاسع عشر، بل هاجمهم كجماعة واحدة، باعتبار التنوير "المرض الأعظم للإنسان الحديث "[1].

أما الرأي الذي يرى أن التنوير لم يكن ليستمر في القرن التاسع عشر فيرجع ذلك لعدة خصائص تختلف مع الأفكار الأساسية للفكر التنويري، وهي(القومية، العرقية، التطور) :

أولا : القومية : حيث أصبحت القومية قوة فاعلة في السياسة الأوروبية بعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩، واحتل مفهوم الذات القومية مكانه هامة، ويرجع هذا المفهوم في الأساس للفكر الرومانتيكي في مطلع القرن التاسع عشر[2]، وأدت انتصارات نابليون وسيادة الأمة والثقافة الفرنسية إلى إعطاء دفعة قوية لفكرة القومية، خصوصا مع انهيار المؤسسات القديمة المسيطرة على المجتمع وظهور قوة الإرادة الشعبية[3]، وفي ألمانيا اتجه نظر المفكرين صوب الإمبراطورية الرومانية المقدسة كنموذج للوحدة والقوة القومية، وقد بلغت الدعوة إلى النهضة والوحدة القومية ذروتها على يد فشته Fichte (١٧٦٢-١٨١٤) في خطبته (نداء إلى الأمة الألمانية) ١٨٠٧، ثم انتقلت الفكرة إلى التيارات الأخرى عن طريق هيجل G.F.Hegel (١٧٧٠-١٨٣١)، والذي أشار للدولة باعتبارها تجسيداً للروح المطلق .

1- Lewis Call, **Op.Cit**, p 15.
2- Urlish Im Hof, **The Enlightenment** ,Transl:William Yuill,Oxford:Black Wall Publusher, 1997, p 283.
3- George H.Mead, **Op. Cit**, p 56.

ثانيا: العرقية Ethno-Centricism : وبعكس التنوير في القرن الثامن عشر، فقد عكس التنوير الجديد بصورة قوية تمركزا أكبر حول القارة الأوروبية، وظهر ذلك بقوة في الافتراضات العامة عن تفوق الحضارة الأوروبية على باقي حضارات العالم مدعومة بالنزعة الإمبريالية والسيطرة العسكرية، " حتى أن التاريخ العالمي في هذه المرحلة لم يعن أكثر من تاريخ القوى والأقاليم الأوروبية "[١].

ثالثا : التطور : ورغم المقاومة التي شهدتها حركة التطور الداروينية في البداية إلا أنها سرعان ما سادت وأصبحت روح القرن، وامتدت من تفسيرها الأحيائي إلى تفسير الكون والمجتمع والدولة والأخلاق[٢]، وذلك بسبب التقدم الاقتصادي التقني وتطبيق المعرفة العلمية والاستثمارات الموجهة لرأس المال، مما دعم رؤية إمكان تطور المجتمع بصورة مشابهة لتطور الجسم البشري، " فلم يعد التاريخ يعرض مجرد أمثلة للتقدم و إنما التقدم بمعنى التغير للأفضل، أي فكرة التاريخ كخط منحنٍ أو تقدم على هيئة مدار دائري"[٣].

وكان التأثير الأهم للتنوير على القرن التاسع عشر هو التأكيد على التجربة كقانون للعقل في فحصه للحقيقة والمعرفة، وكذلك على التحول من التعليم التقليدي إلى التعليم الوضعي القائم على تحقيق احتياجات البشر في المجتمع، كما قدمت أرضية صالحة لإعادة تنظيم المجتمع وفقاً لأسس علمية[٤].

ولم تفسح هذه التيارات الفكرية الجديدة لنمو العلم فحسب، بل حتى تحويل كل شئ بما في ذلك المجالات الإنسانية إلى علم، وهكذا سعى كونت E.Conte لخلق علم جديد للاجتماع أو فيزياء اجتماعية، وإنشاء لاهوت جديد مناسب للعصر(ارنست رينان E.Renane) واشتراكية علمية (كارل ماركس K.Marx) وعلم للطبيعة البشرية (جون ستيوارت مل J.S.Mill) وحتى أدب محكم بالعلم (إميل زولا E.Zola) [٥]، وقد قدم التنوير الجديد بذلك دفعة قوية لاتجاه كان ملحوظا بالفعل في التنوير في القرن السابق عليه .

١- فرانكلين ل.باومر، **الفكر الأوروبي الحديث:الاتصال والانقطاع في الأفكار**، الجزء الثالث:القرن التاسع عشر، القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩ ص ٨٢.

٢- **المرجع السابق**، ص ١١٥-١١٦.

3- Henry D.Aiken, **Op.Cit**, pp 134-135.

٤- فرانكلين ل.باومر، **مرجع سابق**، ص ٥٥.

٥- **المرجع السابق**، ص ٦٤.

كما أدت الوضعية والأفكار الآلية والحتمية إلى تشديد الهجوم على الدين المسيحي باعتباره إيماناً بغيبيات لا يمكن التأكد منها، إلا انه على الجانب الآخر كان هناك تقدير للدين من حيث نفعه الاجتماعي، فظهرت عدة محاولات لابتكار دين جديد يجمع في الوقت ذاته بين المصداقية العلمية وإشباع الرغبة السيكولوجية والنفع الاجتماعي، " وهكذا أصبح المجتمع الإنساني كأساس للحكم الأخلاقي ومبدأ لتقييم السلوك أكثر من كونه موضوعا للدراسة"[١].

و ظهر في ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تيار فكري مادي جديد متأثراً بشكل عام بالنزعات الوضعية والتجريبية عند الفلاسفة الإنجليز والفرنسيين والنظرية التطورية الداروينية [٢]، وشكل أوج هذه النزعة المادية الألمانية الفيلسوف فردريش لانجه Friedrich Lange (1828-1875) وكتابه "تاريخ المادية" History of Materialism، الذي نادى فيه بأن التفكير المادي هو وحده التفكير الحقيقي والذي يجب أن يتم دفعه إلى أقصى حدوده وتطبيقه على جميع مجالات الحياة، ليترجم العالم بأسره إلى سلسلة من العلل والأسباب [٣].

واعتمادا على نظرية المعرفة الكانطية، يصيغ لانجه مستويات الإدراك وفقا لأربعة مستويات رئيسية[٤] :

- الإيمان الفطري في الوجود الحسي
- المعرفة بأن الحواس لا تعطينا صورة الأشياء كما هي في ذاتها، ولكن هناك عوامل أخرى تدخل في إدراكنا مثل الأصوات والألوان، وهذه هي نقطة البداية في العلم
- الطبيعي .
- بناء على النقطة السابقة، فإن التناقض بين إدراكنا للشيء والشيء في ذاته هو ناتج عن علمية التنظيم الحسي لإدراك العالم الخارجي .
- أن التنظيم الحسي لإدراك العالم الخارجي في حاجة لتدخل العلم باستمرار لتصحيحه.

١- آلان تورين، **نقد الحداثة**، ت: أنور مغيث، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧، ص ٣٧.

2- Harald Höffding, **A History of Modern Philosophy**,Transl:B.E.Meyer, Dover:Dover Publication INC,1955, Vol II, p 491.

3- **Ibid**, p 455.

4- **Ibid**, p 460-462.

obeikandl.com

ويرى لانجه أن هذا الشك في بناء نسق إدراكي قائم على المعطيات الحسية لا يشير إلى الشك في إمكانية المعرفة ذاتها، وإنما في إقامة أي نسق معرفي يتجاوز حدود العلم المادي الطبيعي .

بعد عرض أهم التيارات والاتجاهات الفكرية في القرن التاسع عشر، والتي شكلت الخلفية الثقافية لفلسفة نيتشه، يتم تناول حياة نيتشه وأعماله ومراحل تطوره الفكري ومدى تأثره بكلٍ من هذه التيارات.

حياة نيتشه.

ولد فردريش فلهلم نيتشه في " روكن Röken، وهي مقاطعة بروسية بألمانيا، في الخامس عشر من أكتوبر١٨٤٤، وكان أبوه قسا بروتستانتيا وابن قس بروتستانتي، كما كانت أمه ابنة قس بروتستانتي، وتشكلت خبرات نيتشه في مرحله الطفولة وفقا لمحورين أساسيين هما،موت والده والخلفية الدينية لعائلته :

الأول : موت والده في مايو ١٨٤٩، والذي كان يمثل لابنه شخصية شديدة الأهمية والقداسة، فيكتب نيتشه عن ذلك في مؤلفه" هو ذا الإنسان"Ecce Homo "لقد مات أبي وهو في سن السادسة والثلاثين، لقد كان مريضا ومحبوبا ورقيقا أشبه بمن كتب عليه المصير أن يعيش عمرا قصيرا، إنه إنسان يذكرنا بالحياة أكثر من الحياة نفسها"[١]

ويلاحظ الباحثان كايل ارنولد Kyle Arnold وجورج اتوود George Atwood في دراستهما السيكولوجية لشخصية نيتشه، أن نيتشه يخاطب والده في مشهد الجناة بلفظ والدنا الحبيب Our Beloved Father وهو نفس اللفظ الذي يستخدمه في مخاطبة الرب في مكان آخر من مذكراته Our Celestial Father، مما يضفي على والده هالة من القداسة المبهمة[٢].

ويذهب الباحثان إلى أن موت والد نيتشه في هذه المرحلة من حياة ابنه لم يلق ظلالا فحسب على معارضة نيتشه لما رآه كأفكار لتمجيد الموت في المسيحية، بل كذلك في عداء

١- فردريك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، مرجع سابق، ص ١٥.

2- Kyle Arnold & George Atwood,"Nietzsche's Madness",**The Pscychoanalytical Review** ,Vol 87,No 5, 2000, pp 651-698, New York, National Psychological Association for Psychoanalysis, p 653.

نيتشه للديانة المسيحية برمتها ، فمن منظور نيتشه فإن المسيحية هي عقيدة الموت، والتي بتحديدها لهدف الحياة في ما بعد الحياة فإنها تسلب الحياة قيمتها وحيويتها[١] .

الثاني : الخلفية الدينية لعائلة نيتشه، فقد كان ينتمي لسلالة من رعاة الكنيسة البروتستانتية تمتد إلى القرن السابع عشر[٢]، وكانت أمه شديدة التدين، وكانت تفرض على البيت جوا دينيا خالصا، حيث يبدأ اليوم بالصلاة وينتهي بالصلاة، وكانت تعد نيتشه ليتابع مسيرة والده الدينية وكان نيتشه يعامل كطفل مقدس نظرا لمستقبله كقس أو كاهن[٣] .

وهكذا عاش نيتشه بعد وفاة أبيه في جو ديني خالص، باعتباره الذكر الوحيد في أسرة مكونة من أمه وأخته وجدته لأبيه وعمتين لم تتزوجا، وعرف عن نتشه منذ صغره تميزه وتفوقه على أقرانه، كما عرف عنه تدينه وتقواه، حتى أن أقرانه لقبوه "بالقس الصغير " [٤].

والتحق نيتشه بمدرسة بفورتا Pforta الثانوية في العام ١٨٥٨، وعلى مدى ستة أعوام خضع لتقاليد المدرسة ونظامها الصارم، وحصل نيتشه عند تخرجه على تقدير جيد في الأدب واللاهوت، بينما حصل على تقدير ضعيف في الرياضيات والرسم، ولقد تركت هذه المدرسة ونظامها الصارم أثرا سيئا في نفس نيتشه، وهو ما يتضح من نقده لنظام المدارس الثانوية وما يؤدي إليه من القضاء علي أية موهبة أو طموح[٥].

وانتقل نيتشه في العام ١٨٦٤ إلى جامعة بون Bonn لدراسة اللاهوت والفيلولوجيا (فقه اللغة الكلاسيكي) إلا أنه سرعان ما هجر دراسة اللاهوت ولحق بأستاذه ريتشل Ritschel الذي انتقل لجامعة ليبزج Lepzig، وكان ريتشل عالم واسع المعرفة ومعلم قادر على بث الإخلاص والحماسة في تلاميذه، ويدين نيتشه له بالفضل في المعرفة العميقة بالحضارة اليونانية القديمة [٦]، حيث تشكل الحضارة الإغريقية القديمة أحد المصادر الرئيسية لفلسفته، ويرى نيتشه أن أهم ما حققته له الدراسات الفيلولوجية أنها جعلته تلميذا للعالم

1- Kyle Arnold & George Atwood,**Op.Cit**, p 656.
2- R.J.Hollingdale, **Nietzsche:The Man and His Philosophy**, London:ARK Paperbacks, 1985, p 4.
3- **Ibid**, p 7.
٤- يسري إبراهيم، **نيتشه عدو المسيح**، القاهرة:دار سينا للنشر، ١٩٩٠، صـ ١١.
5- R.J.Hollingdale, **Op.Cit**,p 21.
6- **Ibid**,p 39-40.

اليوناني[1]، كما يعد اهتمامه بالحضارة الإغريقية القديمة نقطة تحول في الدراسات المتعلقة بتلك الفترة[2]، حيث استطاع أن يصيغ مفهوما أصيلا عن فكرة الصراع Agon ودوره في تطور الحضارة الإغريقية من خلال دراسته لأساطير هومر Homer وهزيود Hesiod ، وشكل هذا المفهوم مفتاح رئيسي لنمو فكره، كذلك فقد أعجب بفكر ديمقريطس Democritusعن المادة الذرية، وتأثر بصورة خاصة بالفيلسوف هيراقليطس Heraclitus ، والذي اعتبره في مرحله تالية متفردا عن سائر الفلاسفة، واخذ عنه أفكاره عن الصيرورة وصراع الأضداد.

كما التقى نيتشه في فترة الدراسة الجامعية بعالم التاريخ الألماني بوركهارتJ.Burckhardt (١٨١٨-١٨٩٧) والذي كان يدرس في الجامعة في نفس الفترة، والذي وجه تفكير نيتشه نحو إدراك حالة التفسخ الحضاري والثقافي الذي تعاني منه أوروبا في العصر الحديث، وزيف فكرة التقدم وفقا للأسس المادية التي صاغها مشروع الحداثة الأوروبي، وما يفضي إليه هذا المشروع من عدمية وانهيار حضاري[3].

واستطاع نيتشه بمساعدة أستاذه ريتشل أن يحصل في العام ١٨٦٩على كرسي الأستاذية للفيلولوجي بجامعة بازل Basel، كما تم ترشيحه للحصول على درجة الدكتوراه دون أي اختبارات أو أطروحات.

واطلع نيتشه خلال فترة عمله بالجامعة على كتابين أثرا على فلسفته بشكل واضح وهما "العالم كإرادة وتمثل"World as Will and Representation لشوبنهاور، والآخر هو "تاريخ المادية"للانجه، وعلى الرغم من التعارض بين الاتجاهين فإن نيتشه قد تأثر بكل منهما، فأخذ عن لانجه فكرته الأساسية عن عدم وجود ما يسمى الشيء في ذاته، وإن هذا يرجع للخطأ في تنظيمنا للمدركات الحسية، كما اخذ عنه مهاجمته لوجود حدود ثابتة للحقيقة البشرية.

1- F.Nietzsche,"The Use and Disadvintage of Histroy for Life",In:"**Untimely Meditation**",Trans and Ed:Daniel Breazeale, Cambridge University Press,1997,p 59.
2- James I.Porter, **Nietzsche and The Philology of The Future**, Stanford.Stanford University Press,2000, p 16.
3- Erich Heller, **The Importance of Nietzsche, Chicago**, University of Chicago Press,1988, pp 48-50.

علي الجانب الآخر يعد تأثر نيتشه بفكر شوبنهاور هي نقطة ولادته كمفكر، حيث تدور العديد من أفكاره حول فلسفة شوبنهاور سلبا وإيجابا[١]، وعلى الرغم من أن فلسفة نيتشه في كتاباته المتأخرة تمضي في اتجاه مخالف لفكر شوبنهاور، إلا أنه ظل متأثراً بشخصية شوبنهاور كما بدا في كتاباته[٢] .

وفي العام ١٨٧١ ألتقي نيتشه بالموسيقى الألماني فاجنر Wagner – والذي كان شوبنهاوريا أيضا –وآمن نيتشه بقدره موسيقاه على بعث حضارة جديد عظيمة، وهكذا أهتدى نيتشه إلى مصدر آخر من مصادر فكره في تلك الفترة التي استمر فيها ملازما لفاجنر، الذي آمن بقدرة الفيلسوف الشاب على شرح وإيصال موسيقاه إلى قطاع واسع من المثقفين .

وتعد تلك الفترة هي بداية أعمال نيتشه الفلسفية والتي كان أولها "ميلاد المأساة" The Birth of Tragedy وصدرت طبعته الأولى في العام ١٨٧٢، وفي طبعة ١٨٨٦ يكتب نيتشه في مقدمة الكتاب " أنا أجد هذا الكتاب مستحيلا وأجده مكتوب بشكل سيئ وثقيل ومخجل، وصورة مجنونة و مضطربة وعاطفية "[٣]، والفكرة المركزية في الكتاب هي أن الإبداع ناتج عن الصراع وأن القوة المبدعة هي غرائز تم السيطرة عليها وإعادة توجيهها، ويبرز في الكتاب التعارض الشوبنهاوري بين الإرادة والعقل، والذي يعرضه نيتشه في صورة التضاد بين الإلهين ديونيسوس Dionysus وأبوللو Apollo، كما يركز الكتاب على إمكانية بعث حضارة جديدة عظيمة من خلال فن فاجنر.

ويهاجم نيتشه في الكتاب العقل ممثلا في سقراط باعتباره ممثلا للنزعة العقلية ونموذج للإنسان النظري المتطرف، كما يهاجم الفلسفات التقليدية لما تقوم عليه من اعتقاد بأن المعرفة العقلية قادرة على تفسير ماهية الموجود وتبريره، وفي المقابل يعلي من شأن المعرفة التراجيدية القائمة على الأسطورة التي تستطيع تجاوز حدود المعرفة العقلية وتقديم معنى للوجود وحياة الإنسان .

1- F.A.Lea, **The Tragic Philosopher**, London:Methuen& CO LTD,1957, p 23.
2- R.J.Hollingdale, **Op.Cit**,p72.
٣- فردريك نيتشه، "محاولة للنقد الذاتي"، ترجمة:عبد الغني داود وأحمد عبد الفتاح، إبداع، العدد التاسع، السنة التاسعة عشر، ص ص ٤٣-٥٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سبتمبر ٢٠٠١، ص ٤٥.

وحقق الكتاب انتشارا جماهيريا واسعا، إلا أنه لم يحظ بالإقبال في الوسط الجامعي الذي توقع من عالم اللغة الشاب كتابا أكثر منهجية ومنطقية، وحتى أستاذه ريتشل أنتقد الكتاب بشدة[١] .

ويقدم نيتشه في نفس الفترة سلسلة من المحاضرات تحت عنوان "حول مستقبل مؤسستنا التعليمية" On The Future of Our Educational Institutions، ويقوم فيها باستعراض واقع التعليم في ألمانيا من وجهة نظر حضارية، كما يناقش علاقة هذه المؤسسات بكل من الدولة من جهة والثقافة من جهة أخرى، ويبشر فيه بنوع جديد من التربية يقوم على تربية العباقرة، والذي يعد إرهاصا لفكرة الإنسان الأعلى كما سينادي بها نيتشه في مراحل تالية، كما قدم نيتشه خلال نفس الفترة كتابه"تأملات في غير أوانها" Meditation Untimely، والكتاب في مجمله يتكون من أربعة مداخل منفصلة، وهذه المداخل هي:

أ)" شتراوس ككاهن وكاتب"[٢] Straus as Confisedor and Writer

ويهاجم فيه ثقافة الرايخ القائمة على تأليه الدولة وتمجيد الحرب في شخصية دافيد شتراوس (١٨٠٨-١٨٧٤).

ب) "استخدام وسوء استخدام التاريخ"[٣] Use and Abuse of History

وفيه عارض نيتشه الرأي السائد في الجامعات الألمانية حول فائدة دراسة التاريخ، ويشير إلى أن الدراسات التاريخية في عصره تعاني من مشكلتين أساسيتين، إحداهما هي دراسة التاريخ بهدف تحصيل المعرفة التاريخية فحسب مما ينفي عن المعرفة التاريخية أي حيوية أو إبداع، والأخرى هي النظرة إلى التاريخ القائمة على الثبات متجاهلة الصيرورة الحيوية للمعرفة التاريخية، ويؤدي هذا في نظر نيتشه إلى ركود المعرفة التاريخية، وعدم تحقيقها لأية فائدة، ويذهب إلى أن المعرفة التاريخية تكون ذات قيمة عندما تحدث تأثير إيجابي على إحساس الإنسان بحياته[٤] .

1- R.J.Hollingdale, **Op.Cit**,p86.
2- F.Nietzsche," Straus as Confisedor and Writer",In:" **Untimely Meditation**,Op.Cit, pp1-56.
3- F.Nietzsche, **The Use and Disadvintage of Histroy for Life**, ", Op.Cit,pp57-124.
4- **Ibid**, p 120.

ت)" شوبنهاور كمرب"[١] Schopenhaur as Educator

ويحاول نيتشه في هذا المدخل صياغة أفكاره الخاصة في قالب شوبنهاوري، ولهذا يطلق عليه في مرحلة تالية أسم " نيتشه كمرب " ويرى أنه استغل اسم شوبنهاور في هذا الكتاب مثلما استغل أفلاطون اسم سقراط في محاضراته[٢]، ويقدم نيتشه شوبنهاور في الكتاب كنموذج للعبقري كما يتصوره، كشخص يحدد هدفه في طرح تصور جديد للإنسانية يعمل على إغناء الحياة وإثراءها، ويرى أن الدارس لتعاليم شوبنهاور الفلسفية يمكنه أن يكتسب درسا هاما، وهو كيفية تطوير ذاته من خلال إغناء العناصر الأساسية في شخصيته .

ث) "ريتشارد فاجنر في بايرويث"[٣] Richard Wagner in Bayreuth

ويمثل المدخل بداية لمرحلة القطعية مع فاجنر وموسيقاه، والكتاب في مجمله يشير لاستقلال نيتشه عن فاجنر، وشعوره بذاته كصاحب رسالة مستقلة، وكذلك يأسه من فاجنر بعد الروح البرجوازية التي أبداها في مسرح بايرويث، وعودته إلى الإيديولوجيا المسيحية في مسرحية بارسيفال Parseval، والتي يعلن بطلها المتمرد خضوعه أمام الصليب وتعاليم المسيحية[٤] .

ويعد كتاب نيتشه التالي " إنساني، إنساني إلى أقصى حد " Human,All Too Human بداية لمرحلة جديدة في حياته، وهو أخر الكتب التي يصدرها نيتشه أثناء عمله في الجامعة، حيث لم تسمح له حالته الصحية بالاستمرار في العمل الجامعي فتقاعد نيتشه نهائيا في أواخر العام ١٨٧٩، كما يعد الكتاب بداية لنزعة نيتشه النقدية تجاه الأخلاق والدين في عصره، وكذلك رؤيته المنظورية للمعرفة والقيم، ويضيف له عنون فرعي هو " كتاب للأرواح الحرة A Book for Free Spirits"، ويشرح مصطلح الروح الحرة بأنه يشير بها إلى ذاته التي تحررت من قيود النزعة المثالية والميتافيزيقيا، ويبدأ في هذا الكتاب في صياغة شكله المميز في الكتابة، حيث يعالج أفكاره في شكل حكم أو مجامع الكلام أو مقاطع قصيرة

1- F.Nietzsche," Schopenhaur as Educator", In:" **Untimely Meditation**,Op.Cit, pp125-194.

٢- فردريك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، مرجع سابق، ص ٧٨.

3- F.Nietzsche," Richard Wagner in Bayreuth" , In:" **Untimely Meditation**,Op.Cit, pp195-254.

4- R.J.Hollingdale, **Op.Cit**, p 92 .

عميقة المضمون حول الموضوعات التي يهتم بها، والتي في كثير من الأحيان غير مترابطة ظاهريا.

ويضيف في الأعوام التالية ملحقين للكتاب هما : " أمشاج من آراء وقواعد"١٨٧٩ Mixed of Opinions and Maxims، و "التائه وظله"١٨٨٠ The Wanderer and His Shadow، وفيهما يعبر نيتشه عن أسلوبه في الكتابة بشكل أكثر وضوحا، ويزيد فيها من هجومه على فانجر وشوبنهاور، وينبذ الميتافيزيقا نهائيا باعتبارها لا تقدم اهتماما كافيا بحياة الإنسان وواقعه .

وخلال أعوام ما بعد بازل (١٨٨٠-١٨٨٩) يتنقل نيتشه بين أماكن عديدة في أوروبا بسبب حالته الصحية ، فيتجه في فصل الشتاء إلى سيلس – ماريا في أيطاليا Sils-Maria ثم جنوه Genoa والبندقية Venice وتورين Toerin ونيس Nice، أما في فصل الصيف فكان يفضل الإقامة في المناطق الجبلية المرتفعة في ألمانيا وسويسرا، وتشهد مقدمات كتبه دائما بالوحدة شبه التامة التي يحياها[١]، وفي أثناء ذلك يقدم نيتشه كتابه "الفجر"١٨٨٠ The Dawn ويواصل فيه هجومه علي الأخلاق السائدة، ويشير إلى هذه الأنساق الأخلاقية باعتبارها نزوعاً نحو السلبية والفساد والتفسخ التي تشوه العالم وتطعن في الإنسانية وتنهكها، وأنها قائمة على تخيلات غير واقعية وأخطاء سيكولوجية[٢]، سواء القائمة على الديانة المسيحية أو المستمدة من الأنساق الفلسفية:

لقد بدأت في فحص الاعتقاد القديم الذي ظل الفلاسفة لآلاف الأعوام يبنون عليه صروحهم جيلا بعد جيل باعتباره الحجر الأكثر أمانا، إن مهمتي التي بدأتها في هذا الكتاب هي تقويض هذا الاعتقاد والإيمان بالأخلاق [٣].

ويقدم نيتشه هجوم مماثل على المعرفة والعلم في عصره في كتابه التالي "العلم الجذل" The Gay Science ١٨٨٢ويهاجم فيه البُنى الميتافيزيقية التي تسعى نحو الحقيقة بعيدا عن العالم الواقعي والنظرة العلمية، كما يهاجم العلوم التي تهتم بالتفاصيل (أو الوقائع) الصغيرة

1- R.J.Hollingdale, **Op.Cit**, pp 114-116.

٢- فردريك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

3- F.Nietzsche,**Daybreak: Thoughts on the Prejudices of Morality**, Translated by R. J. Hollingdale, New York, Cambridge University Press, 1991Perface, p 5.

بدون أن تشكل أي نسق عام يمكن أن تنتظم فيه لتعطي لحياة الإنسان ووجوده معنى، وفي مقابل هذا الهجوم يطور نظريته المعرفية عن " المنظورية" كأساس للمعرفة البشرية .

وتعد المرحلة التالية بدءاً من العام ١٨٨٣ هي مرحلة النضج في فلسفة نيتشه، حيث توصل إلى الصيغة النهائية لفلسفته، التي يعرض من خلالها لنشأة الأخلاق التقليدية بشكل تطوري، ويقابل بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد، ويبشر بالإنسان الأعلى والعود الأبدي، ويقدم تفسيرا ميتافيزيقيا وأخلاقيا للحياة من خلال مفهومه " إرادة القوة "[١].

ومن أعمال نيتشه في هذه الفترة وهو " هكذا تكلم زرادشت"١٨٨٣ Thus Spoke Zarathustra والذي يقدم فيه روحا صوفية أخلاقية، إلا إنه ليس تصوفا ينكر الحياة ويعزف عنها، بل يظل على تعلقه بالأرض وتمجيد هذه الحياة وهذا العالم، ويتغنى بالطبيعة والتلقائية والحيوية، والكتاب في مجمله شرح لفكرة الإنسان الأعلى، المثل الأعلى للإنسان الذي يستطيع تجاوز ذاته والعلو عليها، كما يتضمن توضيح لفكرة العود الأبدي كتفسير مجاوز للطبيعة عن الحياة والموت .

ويرى كاوفمان أن معظم المتخصصين يعتبرون كتابيه " فيما وراء الخير والشر " ١٨٨٦ Byond Good and Evil و " علم نشأة الأخلاق "Genealogy of Morals ١٨٨٧، هما أعمق أعمال نيتشه الفلسفية و أكثرها مذهبية[٢]، ويغطي الكتاب الأول في فصوله التسعة معظم المحاور الرئيسية لفكر نيتشه مثل الدين والتاريخ والأخلاق، ويرى نيتشه أن كل النقاط الجوهرية في الكتاب هي نقد للحداثة" بما في ذلك العالم الحديث والفن الحديث، بل حتى السياسة الحديثة، مع بعض الدلالات بشأن نمط معاكس ومخالف للإنسان الحديث قدر الإمكان، نمط نبيل يتحلى بالإيجابية "[٣].

أما الكتاب الثاني فيتناول فيه مشكلة الخير والشر، ونشأة الأخلاق وتطورها في ثلاث مقالات يستخدم فيها نيتشه قدراته اللغوية و السيكولوجية، ويخصص المقال الأول لتوضيح كيفية نشأة الأخلاق المسيحية –عند نيتشه–عن التناقض بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد، ويتناول في الفصلين الآخرين تحليلا سيكولوجيا لكل من الضمير والمثال الزهدي للكاهن

١- يسري إبراهيم، **نيتشه عدو المسيح**، مرجع سابق، ص ٣٣.

2- W.Kaufmann,"Friedriche Nietzsche",In :P.Edwards(Ed in Chief), **The Encyclopea of Philosophy**, , pp 504-514, New York:Macmillan,1972, Vol 3, p 509.

٣- فردريك نيتشه، **هذا هو الإنسان**، مرجع سابق، ص ١١٠.

المسيحي، يخلص من خلاله لتوضيح الأساس الذي تقوم عليه الرؤية المسيحية من خلال رؤية جديدة .

ويعد عام ١٨٨٨ هو أكثر الأعوام غزارة في الكتابة عند نيتشه وآخرها، فيكتب تباعاً "حالة فاجنر The Case of Wagner والذي يواصل فيه هجومه علي موسيقى فاجنر والذوق الألماني والنزعة العرقية العسكرية للرايخ، ثم يتابع هجومه علي الديانة المسيحية في كتاب " المسيخ الدجال " Anticrist ويميز فيه بين شخص المسيح والكنيسة المسيحية فيمجد المسيح كإنسان باعتبار حياته تجسيد لإرادة القوة، ويهاجم الرؤية الأخلاقية المسيحية في صورة بولص Paul والذي شوه صورة المسيح وتعاليمه حينما نقلها لأوروبا، حيث حملها بالروح الأخلاقية اليهودية(١).

ثم كتب نيتشه "أفول الأصنام" Twilight of Idols ويرمز هنا بالأصنام للمذاهب الميتافيزيقية والأخلاقية السائدة، وفي نفس العام يسجل نيتشه سيرته الذاتية في كتاب "هذا هو الإنسان" Ecce Homo قبل أن ينهي العام بكتابه "نيتشه ضد فاجنر" Nietzsche Versus Wagner والذي يحاول أن يقدم فيه نقداً موضوعياً لعلاقته بفاجنر والمبررات التي دفعته للاختلاف معه والهجوم عليه .

وفي أوائل يناير ١٨٨٩ تتدهور حالة نيتشه الصحية وينهار جسديا وعقليا بصورة شبة تامة، وفي نفس العام يدخل إلى مستشفى الأمراض العقلية، قبل أن تعود به أمه إلى منزله في "ناومبرج " حتى وفاتها ١٨٩٦، لينتقل إلى رعاية أخته اليزابيث (١٨٤٦-١٩٣٥) حتى وفاته عام ١٩٠٠، حيث قضى أحد عشر عاما في جنون شبه تام .

وأهم ما يميز كتابات نيتشه الأخيرة هو تحدثه عن مؤلف يخطط لكتابته باسم " إعادة تقويم كل القيم " Revaluation of All Values والذي لم ينته من كتابته، وترك العديد من المقالات والمسودات الخاصة بهذا الكتاب والتي جُمعت بعد وفاته بواسطة أخته اليصابات Elisabeth تحت عنوان "إرادة القوة" The Will to Power ويتناول الكتاب معظم الأفكار والمبادئ الأساسية لفلسفة نيتشه في صورتها النهائية (٢).

1- Bernd Magnus And Kathleen M.Higgins"Nietzsche Works And Their Themes",In: Bernd Magnus And Kathleen M.Higgins(ED), **The Cambridge Companion to Nietzsche**, pp 21-68, Cambridge: Cambridge University Press,1996, p 55.
2- R.J.Hollingdale,"The Hero as Outsider", In: Bernd Magnus And Kathleen M.Higgins(ED) , pp 71-89,**Op.Cit**, p 86.

وتثير سيرة حياة نيتشه عددا من الملاحظات حول كتاباته وفلسفته، ومن أهم هذه الملاحظات هي أن حياة نيتشه بأكملها تتركز حول فلسفته وفكره وتكاد تكون خالية من الأحداث، حيث عاش معظم حياته في عزلة شبه تامة، وهو ما طبع كتاباته بنوع من الذاتية الشديدة، وهو ما يعبر عنه ياسبرز بقوله" إن دراسة فكر نيتشه بخلاف معظم الفلاسفة الكبار تقتضي أن نظل دائماً على صلة بوقائع حياته، فيجب أن نهتم بتجاربه وسلوكه في مواقفه المتعددة من أجل الكشف عن المضمون الفلسفي الذي ينطوي على وحدة لا تنفك بين حياته وفكره، ومن ناحية أخرى فإن أي دراسة لحياة نيتشه لا يمكن أن تكون ذات معنى مادامت أحداث حياته غير مندمجة مع عالم أفكاره"[١].

أما الملاحظة الثانية فهي ما يدافع به البعض ضد فلسفة نيتشه باعتبار أعماله كلها نتاجا للجنون، وأنه كان يعاني من المرض العقلي طوال حياته ومن ثم تفقد كتاباته أية قيمة له، ويشير البعض إلى أن الجنون كان مرضا وراثيا في عائلة نيتشه، إلا أن العديد من مفسري نيتشه مثل ياسبرز و والتر كاوفمانW.Kaufmann(المترجم الرئيسي لأعمال نيتشه للغة الإنجليزية) يؤكدون على أن إصابة نيتشه بالمرض العقلي في الفترة الأخيرة من حياته لا يقلل من شأنه كفيلسوف ولا يسلب أيا من كتبه قيمتها، وأن نيتشه حتى فترة متأخرة من عام ١٨٨٨ كان يتمتع بقواه العقلية كاملة [٢].

ويرى د. فؤاد زكريا أنه لو انتهت حياة نيتشه في العام ١٨٨٨ لما خطر ببال أحد اتهامه بالجنون، لأن البحث الموضوعي لكتابات نيتشه لا يؤدي لأي تأييد لهذا الادعاء[٣] .

أما ثالث هذه الملاحظات فهي الجدل حول ما إذا كانت فلسفة نيتشه قد شهدت تحولات قطعية تميز بين ثلاث مراحل فكرية، ويعبر عن هذا الاتجاه رث آبي[٤]Ruthe Abbey (الباحثة بجامعة أوكسفورد)Oxfordود.يسري إبراهيم[٥]، أو أن تلك التحولات التي شهدتها فلسفة نيتشه إنما ترجع لعوامل التطور الفكري، ويعرض لتلك الرؤية برند ماجنوس Bernd

---

١--نقلا عن :يسري إبراهيم، **مرجع سابق**، ص ٥٤.

٢--نقلا عن : **المرجع سابق**، ص ٣٠.

٣- فؤاد زكريا، **نيتشه**، ط ٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩١، ص ٢٤.

4- Ruthe Abbey, **Nietzsche's Middle Period**, Oxford: Oxford University Press,2000, p 11.

٥- يسري إبراهيم، **مرجع سابق**، ص ٣٢-٣٣.

Magnus وكاثلين م.هيجنز Kathleen M.Higgins[1]، ولكل من الرأيين وجاهته والعديد من الأدلة التي تثبته في كتابات نيتشه ذاتها، إلا أن الدراسة الحالية تميل لوجهة النظر الثانية، على اعتبار أن كتابات نيتشه في مجملها تشهد بنوع من الوحدة العضوية من حيث الاتجاهات والاهتمامات مما يجعلها تشكل كلا واحدا، يكون أي تغير فيه ناتج لعوامل النضج والاكتمال التي يمر بها العقل الإنساني، يجعل من الصعب التحدث عن مراحل منفصلة في فكر نيتشه، وهو ما سيبدو بشكل أكثر وضوحا عند تناول المحاور الرئيسة لفلسفته.

ومما سبق يمكن القول أن فلسفة نيتشه وأعماله في مجملها كانت بمثابة رد فعل لأزمة الحداثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي شارك تيارا الفكر الرئيسين – التنوير و الرومانتيكية – في إحداثها، وتشير العديد من المراجع الحديثة التي عمدت إلى إعادة قراءة تطور الفكر الأوروبي، تشير إلى التنوير بصفة أساسية وإلى الرومانتيكية باعتبارها أحد أوجه التنوير، باعتبارهما مسؤولين عن كل مظاهر العدمية التي انتشرت في العصر الحديث، بدايةً من انتشار المذاهب الفكرية العدمية والعبثية، وانتهاءً بالنزعات الاستعمارية والعرقية والحروب العالمية، وتستخدم هذه المراجع مصطلح التنوير المظلم Dark Enlightenment على ما فيه من تناقض للدلالة على التأثيرات السيئة للتنوير على حياة الإنسان في العصر الحديث[2]، وكانت أهم تلك التأثيرات تتمثل في:

- سيادة العقلانية المادية على كافة شئون المجتمع وجوانب حياة الإنسان المختلفة، متجاهلة الجوانب الروحية والدينية للإنسان.
- سيطرة الفكر التطوري الآلي على النظرة للكون والمجتمع والإنسان.
- ظهور المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية الضخمة التابعة للدولة، والتي لا تتعامل مع الفرد باعتباره فرداً، بل باعتباره وحدة قابلة للتكميم ضمن العديد من الوحدات المتماثلة من غيره من البشر، وموضوع أحادي البعد (الإنسان كمواطن، كمستهلك، كمتعلم، ....) بدون مراعاة الكائن الإنساني الفرد وخصوصيته وتميزه عن الآخرين.

1- Bernd Magnus And Kathleen M.Higgins, **Op.Cit**,pp 21-66.

٢-عبد الوهاب المسيري، **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢، المجلد الأول، ص ١٨١.

- ظهور المذاهب الاقتصادية الكبرى(الرأسمالية بصفة خاصة)، مصحوبة بنمو النزعات الاستعمارية والقومية المتطرفة.
- سيادة المذاهب الأخلاقية النفعية والآلية.

وأدت هذه العوامل وغيرها بصفة عامة إلى حالة من التشاؤمية الثقافية عند العديد من المفكرين والأدباء، كتعبير عن ما معاناة الإنسان في نهاية القرن التاسع عشر، نتيجة لإحساسه بالاغتراب عن واقعه من جهة، وانعزاله عن مصادره الروحية من جهة أخرى، وشعوره بالتضاؤل أمام المادة والآلة، وعبرت هذه التشاؤمية عن يأسها من حضارتها المعاصرة، وقدرتها على تحقيق درجة رفيعة من الإنسانية.

وتعد فلسفة نيتشه من أولى الفلسفات التي أعلنت عن اتجاه الرفض الثقافي الإنساني للحضارة الغربية المادية بما فيها من اتجاهات اقتصادية واجتماعية وسياسية وأخلاقية، حيث دعا إلى إعادة بناء حضارة جديدة تعمل على تأكيد ذاتية الإنسان الفرد في مقابل المذاهب الشمولية والجمعية، وإعادة الإيمان بعظمة الإنسان، وفتح مجالات التطور الروحي أمامه، كما دعا للعودة إلى الأصول الإغريقية القديمة للحضارة الغربية، لتقديم صورة مغايرة للطبيعة الإنسانية والتأكيد على الجوانب اللاعقلانية في الإنسان والحضارة، والتأكيد على النماذج الفردية في مقابل المذاهب الأخلاقية والاجتماعية الجمعية، والدعوة إلى نظرة جديدة للعلم والمعرفة تتخذ من الإنسان مركزاً لها، والإيمان بقدرة الإنسان اللا محدودة على السمو والارتقاء، بعيداً عن الأفكار المادية والنفعية السائدة، إلا أن هذا لا ينفي ما للفكر التنويري من أثر على فلسفة نيتشه .

وبعد عرض عصر نيتشه وحياته يتم تناول المضامين التربوية في الجوانب المختلفة لفلسفته (الطبيعة الإنسانية، المعرفة، الأخلاق، المجتمع) في الفصول التالية، بدءاً بتناول الطبيعة الإنسانية ومضامينها التربوية موضوع الفصل القادم.